

أضواء البيان

@ 386 قوله تعالى : { فَآتَتْ خِذْلَتٌ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } . أظهر الأقوال أن المراد بقوله (روحنا) جبريل . ويدل لذلك قوله : { نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمَّ مِينٌ } ، وقوله : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } ، وإضافته إلى □ إضافة تشریف وتكریم . قوله تعالى : { لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } . .

تمثله لها بشراً سويًا المذكور في الآية يدل على أنه ملك وليس بآدمي . وهذا المدلول صرح به تعالى في قوله : { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } . وهذا الذي بشرها به هو الذي قال لها هنا { إِنَّ زَمْزَمَآ أَنزَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } . وقوله { بَشَرًا سَوِيًّا } حالان من ضمير الفاعل في قوله (تمثل لها) . قوله تعالى : { قَالَ إِنَّ زَمْزَمَآ أَنزَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن ذلك الروح الذي هو جبريل قال لها إنه رسول ربها ليهب لها ، أي ليعطيها غلامًا أي ولداً زكياً ، أي طاهراً من الذنوب والمعاصي ، كثير البركات . وبين في غير هذا الموضع كثيراً من صفات هذا الغلام الموهوب لها ، وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، كقوله : { إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ } وقوله : { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِيَّايَ بَدَأَ زَيْدٌ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنْزَىٰ أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِءُ الْكُفْرَةَ وَاللَّسْمَ وَالرَّصَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَعْمَلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } ، إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على صفات هذا الغلام . وقرأ هذا الحرف أبو عمرو وورش عن نافع وقالون عنه أيضاً بخلف عنه (ليهب) بالياء المفتوحة بعد اللام أي ليهب لك هو ، أي ربك غلاماً زكياً . وقرأ الباقون (لأهب) بهمزة المتكلم أي لأهب لك هو أنا أيها الرسول من ربك غلاماً زكياً . وفي معنى إسناده الهبة إلى نفسه على قراءة الجمهور خلاف معروف بين العلماء . وأظهر الأقوال في ذلك

عندي : أن المراد بقول جبريل لها { قَالَ إِنَّمَا أَنزَلُكَ لَكَ لَأُمَّةً مِّنْ عِندِ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ } أي لأكون سبباً في هبة الغلام